الملتقى الوطني الموسوم بـ: "الخطاب التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ضوء اللسانيات المعاصرة"، المنعقد يومي: 17-18 أفريل 2024م

كلية الآدابو الحضارة الإسلامية

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

محور المداخلة :الخطاب التعليميّ عند جمعية العلماء المسلمين واللّسانيات العَرفانية .

عنوان المداخلة :التوجيه التربويّ في الخطاب التعليميّ الباديسيّ (قراءة لسانية في ضوء نظرية الفضاءات الذهنية)

Educational guidance in the Badisi educational discourse (Linguistic reading in the light of the theory of mental spaces)

اسم المشارك :سوسن مزيتـي. أستاذ محاضر-أ-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة/ دكتوراه ل م د.

الملخص باللغة العربية :

للخطاب التعليميّ الإصلاحيّ بصفته محرِّكا أوّليّا للوعيّ المعرفيّ والحضاريّ قيمتان؛ الأولى منهما خام يجسّدها الاستعداد الطبيعيّ الذي فطر عليه الفرد ليوظف عبقريته ووقته ووطنه في سبيل إنارة عقله وأداء مسؤولياته وتحقيق اهتماماته، والثانية قيمة صناعية يكتسبها من انتسابه الجمعيّ لبيئة اجتماعية تعزّز انتمائه الواقعيّ بشخصيته وطموحاته ومقوماته التي تؤهله للنهوض بأمته وشعبه، وقد برز هذا الجهد الجمعيّ في الواقعة والتجربة التي سجلها التاريخ الإنسانيّ تحت مسمّى جمعية العلماء المسلمين، التي أثبت زعمائها عمليّا ضرورة الإصلاح والتجديد واليقظة الفكرية بمختلف أبعادها القومية والدينية والحضارية والعلمية، فلم يجدوا السبيل إلاّ في طرْق باب الإصلاح التعليميّ بخطاباته الواعية، من هنا وقع اهتمامنا على خطاب (ابن باديس) التعليميّ بطابعه التوجيهيّ التربويّ المعزّز بحبّ الامتلاك الذاتيّ والاستقلالية عن الآخر، محاولين بذلك استقراء أسلوبه في التربية والتعليم من منطلق خطاباته المدرِك فيها لحال الأمة وسباتها العميق، المؤمِن بفكرة الصحوة الباعثة لحياة جديدة بعدّة دينية خالدة فيها صلاح العباد والبلاد، في ضوء نظرية من نظريات اللسانيات العَرفنيّة (المعرفية أو العَرفانية)، ألا وهي نظرية الفضاءات الذهنية بوصفها الجسر التفاعليّ الرابط بين اللغة والذهن ربطا إدراكيّا تشترك فيه مختلف العمليات الذهنية/الملكات العَرفنية (التفكير، التصور، الخيال، الإدراك) التي

تعكس الاتصال بين الدماغ والكلام خلال النشاط اللغويّ بكل مرجعياته النفسية والاجتماعية والعصبية والفلسفية التي تصب في الخبرة الإنسانية .

كلمات مفتاحية :

الخطاب التعليميّ، النشاط اللغويّ، الدّماغ/العقل، الفضاء الذهنيّ، تفاعل، اتصال، العَرفنة، الفكر الإصلاحيّ، التوجيه التربويّ، البعد الحضاريّ، الوعي المعرفيّ.

الملخص باللغة الإنجليزية :

The reformist educational discourse as a primary driver of cognitive and cultural awareness has two values; The first of them is raw embodied by the natural readiness of the individual to employ his genius, time and country in order to illuminate his mind, perform his responsibilities and achieve his interests , The second is an industrial value acquired from his collective affiliation to a social environment that enhances his realistic belonging with his personality, ambitions and components that qualify him for the advancement of his nation and people , This collective effort was highlighted in the incident and experience recorded by human history under the name of the Association of Muslim Scholars, whose leaders proved in practice the need for reform, renewal and intellectual vigilance in its various national, religious, civilizational and scientific dimensions, They found no way except to knock on the door of educational reform with its conscious speeches, Hence, our interest fell on the speech of (Ibn Badis) educational nature of educational guidance enhanced by the love of self-ownership and independence from the other, trying to extrapolate his style in education from the point of view of his speeches aware of the state of the nation and its deep slumber, Believer in the idea of awakening that emits a new life with an eternal religious kit in which the goodness of the people and the country is good, in the light of one of the theories of customary linguistics (cognitive or mystical), It is the theory of mental spaces as the interactive bridge between language and mind in a cognitive link shared by various mental processes / cognitive faculties (thinking, perception, imagination, perception) that reflect the connection between the brain and speech through linguistic activity with all its psychological, social, neurological and philosophical references that feed into the human experience.

Keywords : Educational discourse, language activity, brain/mind, mental space, interaction, communication, acquaintance, reformist thought, educational guidance, cultural dimension, cognitive awareness.

عناصر المداخلة:

- **مقدمة.**
- **أوّلا:** نظرية الفضاءات الذهنية (التناول العَرفنيّ للدّلالة في إطار انتظام العلاقة بين اللغة والدماغ).
- **ثانيّا:** المنجز الخطابيّ التعليميّ لابن باديس من التعليم إلى التوجيه التربويّ (قراءة لسانية في ضوء نظرية الأفضية الذهنيّة).
- **نتائج المداخلة.**
- **قائمة المصادر والمراجع.**

مقدمة:

إنّ الحديث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعدِّها حقا طبيعيّا للشعب الجزائريّ والأمة العربية تنبّه–بعد رحلة صراع حربيّ مسلّح ضد المستعمر–من خلاله العلماء والأئمة والمربّون ودعاة الحقّ إلى ضرورة وضع حجر أساسْ لبناء مشروع إسلاميّ نهضويّ جديد غرضه إصلاح أحوال العباد والبلاد، ومحاربة مرض خبيث نهش فكر الأمة ألا وهو قابلية الاستعمار المعبّر عن وضع استسلاميّ ضعفت فيه عزائم الفرد والمجتمع، لا يَفي–في الحقيقة–أصوات هؤلاء المصلحين حقّها من الصّيحات المنادية للنهوض بفكر هذا الجيل الناشِئ الحامل لرسالة الدين والوطن، المتطلّع لحياة أفضل، وبلد مستقل مزدهر، وتراب حرّ خصب، تنمو في بنياته العميقة الفكرة الدينية بأبعادها الأخلاقية والثقافية والحضارية المناشدة لبناء عدة دائمة تصبو بالأمة إلى دورة خالدة قوامها اللغة العربية والإسلام الذي هو رسالة الإنسانية ومهد حضاراتها.

هذه الجمعية جاءت لتعرّف الأمم العربية والأجيال الإسلامية بالمفهوم الحقيقيّ للحضارة والاستقلال من خلال نشاطها العلميّ التعليميّ الذي ركّز عليه العالِم والمصلِح والمربي (ابن باديس) وجعله بوابة نهضة الأمة ووعيها المعرفيّ والحضاريّ، فكانت خطاباته التعليمية الدقيقة والشاملة بمثابة البيئة المطهّرة والمهذّبة والمنيرة والمصحّحة، بل بمثابة الزاد المغِذي لفكر ونفوس المتعلّمين من أبناء الشعب الجزائريّ والأمة العربيّة، خاصة وأنّ أهداف الاحتلال تمحورت حول فكرة هدْم العقيدة الإسلامية بكل مقوماتها العروبة والإسلام واللغة .

لمّا أيقنت فرنسا أنّ محاربة الشعب الجزائريّ لا تجدي نفعا إلاّ من خلال محاربته من جوهره المعزّز بقيمته الشخصية والاجتماعية المؤسَّسة على انتسابه الإسلاميّ والعربيّ، جعلت من استنزاف قوة المسلمين الروحية ومقاصدهم الإنسانية التي سجلها التاريخ الإنسانيّ تحت عهد الحكم الإسلاميّ الخطوة الأولى لإفساد حياتهم والقضاء على أيامهم، فما كان أمامها إلاّ محاربتهم بالقرآن الذي هو رسالة البشرية جمعاء، حيث قامت بتضليل فكرهم بالافتراء والتشويه حول عجز وتأخّر قرآنهم عن تحقيق متطلبات المدنية الحديثة التي جلبتها لهم، ذلك أن فرنسا كانت مدركة، بل ودَارسة لتاريخ

الجزائريين خاصة والعرب عامة وصلتهم المتينة بالدين الإسلاميّ وتعاليمه التي أهّلتهم لضمّ رايات الأمم الأجنبية المستعمرةِ لراية الحق والهداية بفتوحاتهم الحضارية المشعّة بأنوار الرقيّ ومعايشة الآخر تحت ظل الرحمة والسّلام والحرية[1].

يمثّل الخطاب عند (ابن باديس) الأساس والجدران التي تسبق بناء السقف في عملية تشييد منزل[2]، فالأساس هو إعادة إصلاح أبناء المجتمع الجزائريّ بجدرانه المتعدّدة المنفتحة على عدة جبهات عقائديّا في ظلّ فساد العقيدة، وأخلاقيّا في ظلّ انحطاط الخُلق، وفكريّا لمواجهة الجمود الفكريّ الذي أصاب البيئة الجزائرية، واقتصاديّا لمحاربة البطالة والسعي إلى الرّفع من اليد العاملة، واجتماعيّا في ظلّ انحلال الوحدة وتعاكس الوجهة وافتراق في السّير، وحضاريّا للنهوض بأصحاب الهمم والنفوس القوية والعزائم المتقدة والضمائر الحيّة المبصرة لحال الأمة وواقعها[3].

إنّ قراءة الخطاب التعليميّ الباديسيّ في ضوء مقاربة لسانية عَرفنية تتأسّس في الواقع على مظهرين اثنين؛ أحدهما يتخذ من المدونة الخطابية ميدانا للعملية التعليمية بعدتها المعرفية المجسّدة لمختلف الكفاءات اللغوية بأبعادها الذهنية والنفسية والعصبية، أما المظهر الثاني فيصف الخطاب على أنّه وسيلة للتّواصل اللغويّ بكلّ أبعاده العَرفنية الذهنية والنفسية والعصبية المتمحورة حول الكائن الذكيّ بملكاته اللسانية العَرفنيةّ المرتكزة على قدراته التفاعلية بمنهج تعامليّ تفسيريّ امتزج فيه الأساس البيولوجيّ مع النظام التصوريّ المفهوميّ المجرّد مع نظام عقليّ منظم ومبوّب ضمن فضاء ذهنيّ إدراكيّ معالج للعمليات الدماغية لأغراض ومقاصد لغوية، بعبارة أخرى بحث عملية التواصل اللغويّ بمنحاها العَرفنيّ أي بعدِّ اللغة نشاطا ذهنيّا، هذا المنحى متوغّل في بحث سرّ وجود الذّهن وعمله وفضاءاته الترابطية المسؤولة عن مختلف الأنشطة اللغوية.

[1] ينظر: أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس: مُحَمَّد بن سمينة، دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الأولى، 2014م، 41/1.

[2] ينظر: التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس: مركز البحوث والدراسات، مجلة البيان، العدد 189، الرياض، 1435هـ، ص90.

[3] ينظر: آثار ابن باديس: عمار الطالبي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، 1417هـ/1997م، 24/3.

أوّلا: نظرية الفضاءات الذهنية (التناول العَرفنيّ للدّلالة في إطار انتظام العلاقة بين اللغة والدماغ)[4]

نظرية **الفضاءات الذهنية** Mental spaces لصاحبها (جيل فوكونياي/فوكونييه) G.Fauconnier (1984)الذي اصطلح عليها تسمية ثانية هي **الأفضية الذهنيّة** تلقي ضوءا على التجديد في الطرح اللسانيّ للدّلالة اللغوية الذي يتجلى فيه قطبا اللسانيات العَرفنية[5]–وهي فرع من العلوم العَرفنيّة[6]–: اللغة والعَرفنة[7]، بوصفها نظرية شاملة

[4] ينظر: نظريات لسانية عرَفنية: الأزهر الزناد، الدار العربية للعلوم ناشرون، (د.ب)، (د.ط)، 2009م، ص197 وما بعدها.

[5] **اللسانيات العرفنية** هي تيار جديد في البحث اللغويّ يهتم بدراسة اللغة في بعدها العرفنيّ في إطار الوظيفة التواصلية اللغوية، جاءت كرد فعل على اللسانيات الشكلية بمنهجها الرياضي المنطقي التركيبي. هي نظرية لسانية تدرس اللغة من حيث طبيعتها بوصفها نشاطا عرفنيا في ذاتها وحامل لتمثيلات عرفنية في إطار خصائصها الدلالية العرفنية وتفاعلها مع الملكات العرفنية من تصوير وإدراك، ومن حيث وظيفتها المنحصرة في تمثيل البيئة والسياق وغيرها من الظروف التي نشأ فيها النشاط اللغويّ. ينظر: نظريات لسانية عرَفنية: الأزهر الزناد، ص27، 28.

[6] **العلوم العرفنية** في مفهوم (**لايكوف**) هي: حقل جديد يجمع ما يعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس واللسانيات والأنتروبولوجيا والحاسوبية، ويهدف إلى الإجابة عن أسئلة ليست بالجديدة ولكن تحتاج إلى إجابات جديدة، ينصبّ اهتمامها على البحث في التجارب الواقعية التي يعيشها البشر، وتفسيرها تفسيرا عقليا يكشف عن نظامهم المفهومي وكيفية انتظامه في أذهانهم. ينظر: نظريات لسانية عرَفنية: الأزهر الزناد، صفحة خلفية الكتاب. **العلوم العرفنية** هي علوم متظافرة تدرس العرفنة من حيث طبيعتها، ما هي العرفنة؟ ومن حيث اشتغالها كيف تشتغل العرفنة؟ ومن حيث وظيفتها، ماذا تفعل العرفنة؟ ينظر: نظريات لسانية عرَفنية: الأزهر الزناد، ص34.

[7] العرفنة مفهوم ذو مبدأين: الأول: "التجذّر في بنية الدماغ" أي بحث المعلومات دماغيا، والثاني: "التوسّع في مجال البحث إلى المحيط والبيئة التي يعيش فيها الكائن المعرفن". مرّت العرفنة في مسارها البحثيّ بطورين هما: الطور الحوسبي والطور الترابطيّ، أما **الطور الحوسبيّ** فكان يهدف إلى معالجة المعلومات معالجة دماغية حوسبية، من منطلق برمجية آلية يشتغل فيها الحاسوب اشتغالا رمزيا تشفيريا بغرض تمثيل العمليات الذهنية تمثّلا رمزيا حوسبيا، بعبارة أخرى استعارة الذهن حاسوبا (الذكاء الاصطناعيّ)، أي اعتبار الذهن بمختلف عملياته المعالجة في الدماغ برمجة حاسوبية بتمثلات رمزية تشفيرية، أما **الطور الترابطيّ** فجاء كبديل للطور الحوسبي العاجز عن حصر العرفنة و الإحاطة بها على منوال الحاسوب، والانتقال بها بل وربطها بالدماغ أساسا أي معرفة العرفنة هي معرفة الدماغ، وقد ساعد على هذا الانتقال إلى الطور الترابطي التطورات التقنية والمعرفة لعلوم الدماغ وما توصل إليه علماء الأعصاب في السبعينيات من القرن العشرين، سعيا إلى تحقيق استجابة للذات المعرفنة لكل ما يطرأ في محيطها، مما يعينها على امتلاك ملكة عرفنية تتفاعل من منطلقها مع بيئتها تفاعلا عاقلا ذكيا أو ما يعرف بالمناسبة البيئية Ecological validity. ينظر: نظريات لسانية عرفنية: الأزهر الزناد، ص34، 35. إذن العرفنة هي مصطلح علميّ حديث اتخذ من الدماغ أرضية ومنطلقا لأبحاثه المتنوعة.

تبحث في الظواهر اللغوية بأبعادها العَرفنيّة سعيا للوصول إلى تفسير عرفنيّ يجسّد منهج الكائن الذكيّ وطريقته في التعبير عن تجاربه في الواقع تحت ظلّ النشاط اللغويّ.

نظريّة الأفضية الذهنية هي "منوال في العلاقة بين الدلالة والعَرفنة"؛ هذا التعريف يفضي بنا إلى القول، أنّ هذه النظرية تمثّل مبحثا دلاليّا جديدا اتّخذ فيه علماء اللسانيات العَرفنية مبدأ العَرفان بتجلياته العلميّة المختلفة خاصة النفسية والعصبية معيارا أو مرتكزا لإعادة بحث " طبيعة الدلالة اللغوية وفي علاقتها بانتظام الفكر"، أي معرفة كيفية تشكّل المعنى في اللغات الطبيعية في إطار الانتظام المفهوميّ لعناصر العبارة اللغوية، حيث تتناول هذه النظرية الدّلالة تناولا عَرفنيّا يستمد قوته من طاقة الذهن البشريّ عوض التناول المنطقيّ الشكليّ القائم على طاقة الحسابات المنطقية الرياضية، أي تعالج المعنى بوصفه بنية ذهنية ترتسم في الدماغ عبر الترميز بواسطة المدركات الحسية ويسميها عملية التشفير، معبرا عن لغة الدماغ بالتمثيل الرمزي أو التشفير، وهو ما يعكس مفهوم العرفنة في شقها الترابطيّ[8].

"فقد أصبح البحث في الذهن ومجالاته نوعا من التحديّ بالنسبة للقرن العشرين، وذلك أن الإنسان تمكن من التعرّف على المادة من خلال العلوم الفيزيائية والتعرّف على جسم الإنسان من خلال علوم البيولوجيا."[9]

تنطلق هذه النظرية من ظاهرة الروابط أو الترابطات العَرفنيّة القائمة بين عناصر العبارة اللغوية المشكّلة للأبنية أو المناويل العرَفنيّة، وهو الإطار ذاته الذي تشتغل فيه ترابطات الأفضية بالرّبط بين المظاهر المعنوية والسياقية المقامية للعبارة المسؤولة عن انتظام بنية الفضاءات الذهنية، وهي التي ينكر من خلالها (فوكونياي) التحليل الجزئيّ المحدود العازل للعبارة اللغوية عن سياقها وإطارها الذي تشكّلت فيه عزلا يمنحها البساطة والتعميم.

لكن، يضع في المقابل **تحليلا ترابطيا** يوزع فيه العبارة اللغوية على جميع عناصر العملية التواصلية بمواقفها **الإحالية**، فيربطها بمكانها وزمانها والبيئة الناشئة فيها، محاولا **الإحاطة** بكل القيّم والأدوار الممثلة فيها، ويصطلح عليه أيضا **بالتحليل الإطاريّ**، وهو من أهمّ **المبادئ اللسانية الوظيفية** التي اشتغل عليها **اشتغالا تصوّريا ذهنيّا** إلى جانب :مفهوم الإطار، ومفهوم الدور والقيمة، متخذا من **الخطاب** مدونة للتّطبيق بوصفه **نشاطا لغويّا** قابلا للتحليل اللسانيّ الدلاليّ .

[8] ينظر: علم الدلالة و العرفانية: راي جاكندوف، ترجمة: عبد الرزاق بنور، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط)، 2010م، ص15، 16.

[9] العلوم المعرفية: بحث في النشأة والمفاهيم، ذهبية حمو الحاج، مجلة أبوليوس، المجلد 06، العدد 02، جوان2019م. ص38.

استهدف (فوكونياي) في برنامجه التحليلي الدلاليّ التصوريّ الذهنيّ للعبارة اللغوية الوصول إلى معرفة كيفية انتظام المفاهيم في النشاط اللغوي الخطاب، بعدِّ الانتظام المفهوميّ الأداة المسؤولة عن تشكّل المعنى فيه، على أن يراعي هذا الانتظام أمران :أحدهما، متابعة المستمعين لحركية الخطاب من البداية حتى النهاية، وثانيهما، تحقق الغايات التواصلية والفكرية المتوخاة، وبتكوين البنية اللغوية وتمثّلها في قالب نحويّ دلاليّ تتكشّف وتنعكس بنية الفضاء الذهنيّ فيها طبيعيّا بكل ترابطاتها الذهنية المختلفة (البنية اللغوية أو الدلالية= بنية ذهنية ترابطية)، وأنماطها الدّاخلية المنفردة بفعل القدرة الاهتدائية أو مبدأ الاهتداء الذي تقوم بتحديده البنية اللغوية ضمن جملة وظائفها، ويعرف (فوكونياي) مبدأ الاهتداء القائم على الإحالة بقوله:"يمكن لعبارة تسمي أو تصف وحدة معلومة من مجال ما أن تجريّ للإحالة على وحدة أخرى من مجال آخر، تسمى الوحدة الأولى قادحا وتسمى الثانية هدفا وعملية الإحالة اهتداء".

إذن، (فوكونياي) يسعى من خلال برنامجه هذا إلى تحديد **الفضاء والإطار الذهنيّ** الذي تشتغل في حدوده جميع المعتقدات والأشياء الموجودة في العالم والتي تمثل تجاربنا الواقعية والمترجمة في نشاطاتنا اللغوية، علما أنّ تجلياتها اللغوية بزواياها النحوية والدّلالية تتّحد وتتوحد أدواتها في تكوين الأبنية العَرفنية .

يمكن القول، إنّ الفضاء الذهنيّ بنية عَرفنيّة ذات تمثّل لغويّ، وهو ما حوته الفكرة القديمة القائلة" :اللغة مرآة العقل"، وتتكشف من خلالها الحقيقة الاستبطانية أو الأنوية للأنشطة اللغوية قبل الوظيفة التواصلية والاجتماعية، وليس ذلك فحسب بل إنّ العقل هو الدافع وراء وجود اللغة، بتعبير آخر البنية اللغوية في الأساس هي بنية ذهنية عقلية مقرها الدماغ البشريّ المتضمن للفهم والتدبّر والإدراك والذكاء، هذا ما استنتجناه من قول الإمام (أبو حامد الغزالي) في مؤلَّفه "**أسرار المخلوقات**"، باب في حكمة خلق الإنسان (...) :"فإنه ينظر في العقل وكيف فيه التدبير وفنون العلم ومستقر المعرفة وبصائر الحكمة والتمييز بين النفع والضّرر وهو مع القطع بوجوده لا يُرى له شخصا ولا يسمع له حسا و لا يجس له مجسا ولا يشم له ريحا ولا يدرك له صورة ولا طعما وهو مع ذلك آمر ومطاع وراج ومفكر ومشاهد للغيوب ومتوهم للأمور اتسع له ما ضاق عن الأبصار ووسع له ما ضاقت عنه الأوعية(...)فهو موضع الحكمة ومعدن العلم(...)وهو مع تدبيره وعلمه وحكمته عاجز عن معرفة نفسه(...)وهو مع جهله بنفسه عالم حكيم يميز بين لطائف التدبير ويفرق بين دقائق الصنع"[10].

[10] أسرار المخلوقات: أبو حامد الغزالي، منشورات دار المعارف، سوسة–تونس، (د.ط)، (د.س)، ص78.

فالعقل هو المؤهِل لاكتساب المعرفة، فلا معرفة دون عقل، "...وهو الآلة له في عمل الصنائع وتقديرها على نحو ما قدرها ودبرها في ذهنه وتخيله واستنباط ما يستنبط بدقيق الفكر ومعرفة مكارم الأخلاق الموجودة في كل أمة وزمان..."[11]

هذا الجهاز الطبيعيّ الذكيّ الذي أودعه الله سبحانه في البشرية جمعاء نجهل صورته الحقيقية ولا نعرف له خطة عمل أو إطارا يشتغل فيه إلاّ من خلال تمثله في اللغة والكلام الذي ننطق به، يقول الغزاليّ" :وكذلك لولا اللّسان والنطق الطبيعيّ فيه والذهن المركّب فيه لم يكن ليتكلّم أبدا فسبحان المنعم عليه بذلك"[12]، وهي الحقيقة التي أكدها (فوكونياي) في حديثه عن كيفية اشتغال العقل في بنيته الدماغية لتأسيس فضاء ذهنيّ تأسيسا طبيعيّا بمجرد تمثّل البنية اللغوية بوصفها تفاعلا بشريا ذكيّا مع الواقع، بل إنّه يؤكد الخاصية الطبيعية لهذا الجهاز باستعماله عبارة (يكون من الطبيعيّ..).

من هنا يقيم (فوكونياي) مبدأ عاما في انبناء المعنى وتشكّله في بنية/عبارة لغوية ما فحواه" **كل مفهوم يقتضي في تمثيله فضائين ذهنيين ، يكون الواحد منهما أوليّا والآخر تابعا له.**"، موضحا الكيفية التي تتأسس بها الفضاءات الذهنيّة داخل الأبنية العَرفنية؛ جاعلا من الروابط العَرفنية القائمة بين الأبنية بمظهريها المعنويّ والسياقيّ المقاميّ بابا هاما للولوج إلى العمليات الذهنية المسؤولة عن الترابطات العَرفنية :كل بنية عَرفنية تحمل مفهوما يشترك فضائين ذهنيين في تمثيله تمثيلا ذهنيا لغويا، الفضاءان يعملان ضمن دائرة الروابط العَرفنية الجامعة بين المظاهر المعنوية للبنية بتجلياتها النحوية والدلالية، والمظاهر السياقية بتجلياتها المكانية والزمانية والقيمية، عملية الربط القائمة بين المظهرين المعنويّ والمقاميّ ترتبط ارتباطا مباشرا بالطاقة الذهنية للمتكلّم بعدّها المناويل والأطر العَرفنيّة التي تسمح له بممارسة مهاراته وملكاته العَرفنية الكامنة في القدرات الذهنية البشرية من فهم وتحليل وإدراك وتصوّر وتفكير وتمييز وتخيل وافتراض للأشياء والمعتقدات بحاملها اللغويّ من جهة، وحاملها الواقعيّ من جهة ثانية، وحاملها الإحاليّ من جهة ثالثة المؤدي طبعا إلى الربط بين مختلف سياقات البنية العرفنيّة، ومنه إلى الاهتداء أو الربط بين مجال عرفنيّ ما ومجال عرفنيّ آخر ربطا ذهنيا لغويا عن طريق أدوات متعددة جمعها (فوكونياي) في **مفهوم أنواع الربط** وهي قدرات العَرفنة البشرية من :الدالات التداولية، الاستعارة، المجاز المرسل، القياس، ربط الدّور بالقيمة، الاهتداء–وهو أفضل نوع–إلى التطابق والعلاقات الرابطة بين العالم المتصوّر ونظيره في الواقع.

[11] المصدر نفسه، ص79. في قول (الغزالي) إشارة صريحة إلى العمليات الذهنية التي تتم بواسطة آلة العقل على مستوى تموضع الدماغ من تدبر، وتخيل، واستنباط، وفكر، ومعرفة، هذه العمليات الذهنية هي ملكات عرفنية يمارسها الفرد المعرفن أثناء التفاعل مع بيئته، واصفا إياه أي العقل بالآلة التي تشتغل فيها هذه الملكات المكتسبة بالتدرج.

[12] أسرار المخلوقات: أبو حامد الغزالي، ص75.

مثال: النشاط اللغويّ المنتج لعبارة: **من هم المشاركون في الملتقى؟** يشترك في إنتاجه فضائين ذهنيين يربطان بين مجالين؛ **الأول: فضاء واقعيّ** حامل لاسم المشارك(سوسن مزيتي) بوصفه **قادحا،** وهو مجال عرفنيّ تصب فيه التجربة الواقعية المتضمنة مسألة معرفة شخص المشارك كما هو موجود في الواقع بجسده وملامحه وصفاته المادية والمعنوية، **والثاني: فضاء بؤرة** حامل لعنوان المداخلة بوصفها **الهدف،** وهو مجال عرفني ثان ارتبط بالأول عبر أداة **ربط الدور بالقيمة،** فالمشارك له **دور** في إنجاز الملتقى والبحث في موضوعه، **هذا الدور مرتبط بقيمة** المداخلة والمعلومات التي ستقدم من خلالها الموزعة على عدة مجالات تصب في التوجهات المختلفة لأعمال جمعية العلماء المسلمين وتخصص شخصية الباحث عن طريق عملية الإسقاط بأبعادها التركيبية والدلالية المرتكزة على الرؤية الواقعية التجريبية المجسدة في المحتوى الفكري للمداخلة.

يظهر من خلال هذا المبدأ العام (لفوكونياي) أنّ مسألة تشكّل الفضاء الذهنيّ واشتغال الدماغ في دائرة التصور الذّهني القائمة على **علاقة القادح والهدف** تتمحور حول قضية انبناء المعنى في الخطاب من منطلق عملية الانتظام المفهوميّ المستمدة من الطاقة الذهنية الذي تتجلّى فيه الروابط العَرفنية بين الفضاء الأساس والفضاء البؤرة المؤدي بالضرورة إلى الربط العَرفنيّ الذهنيّ بين مجال عَرفنيّ معين يمثل واقعة أو حادثة ما وبين مجال عَرفني آخر أحالت عليه الواقعة أساس الاهتداء لوجود نوع من الصلة بينهما عبرت عنها قرائن لغوية وأخرى مقامية في إطار الممكن والمقبول، هذا الربط يتم على مستويين، الأول: ما بين النشاط اللغوي والنشاط الدماغيّ، والثاني: ما بين الفضاءات الذهنية المتعددة للعبارة اللغوية الواحدة.

فالفضاء الذهنيّ بكل أبعاده العرَفنية وآلياته اللغوية الدّلالية وتجلياته المفهومية وتمثلاته الفورية الآنية يتلخّص في مفهوم الكم المعلوماتيّ المنظم والمرتب والمدرَك عن الموجودات والأفكار والمعتقدات وكل ما هو معاش ومتخيل ومفترض في ذهن المتكلم بعدّه المسؤول الأول عن إنجاز النشاط اللغويّ بتمثُّليْه المقوليّ المتجلى في العالم الواقعيّ والاستبطاني الداخليّ.

الفضاء الذهنيّ عند (فوكونياي) نوعان: **فضاء أساس أو الفضاء الأب،** وهو الفضاء **الواقعي** المجسّد للعالم الخارجي بوقائعه الحقيقية المستمدة من التجربة والمقام، وهو يمثل **القادح** بوصفه الحامل للمعلومة كما هي في الواقع والممثل لها صورة وعبارة، **وفضاء بؤرة أو الفضاء الابن**[13]، وهو الفضاء **الذهنيّ** المعالج للمعلومة الواقعية معالجة دماغية استبطانية يستحضر فيها المعلومة الجديدة التي تمثل **الهدف** من العبارة اللغوية ضمن إطار مفهوم الإحالة المستقيمة والمستمرة طيلة

[13] **ملاحظة مستخلصة:** الفضاء الأب تتولد وتنشأ عنه فضاء ابن واحد أو فضاءات ابن متعددة منها ما يكون فضاء بؤرة إذا ما ارتبط بإضافة معلومة جديدة، ويبقى فضاء ابن جديد إذا غابت الإضافة الجديدة.

الخطاب بتوزيعات اهتدائية تخلق نوعا من الترابط الذهنيّ بين عدة مجالات عَرفنية مسموح بها، عبر الآلية اللغوية أي بتأسيس لغويّ مقصود، مثلا الانجاز القوليّ للعبارة اللغوية:(**في الصورة تبرز عظمة عبد الحميد ابن باديس)** نجد **فضاء أساس** هو الفضاء الواقعي الذي تمثله الملامح الحقيقية والمواصفات المعروفة بها شخصية ابن باديس الواقعية المنعكسة في الصورة بتمثيلها عن طريق النشاط اللغوي الرمزي الرسم، **وفضاء ابن** هو معالجة مفهوم العظمة الباديسية دماغيا بتوزيعها على عدة مجالات برزت فيها، والربط بين ملامح العظمة الممثلة في كل مجال عَرفنيّ ذهنيّ، فملمح العظمة الدينية يستحضر ملمح العظمة الخطابية باللسان العربيّ، وبالملمح العربيّ يهتدي الفرد إلى الملمح القوميّ الوطنيّ... وغيرها من الراوابط الذهنية بين فضاءات عدة موزِعة للمعلومات بطريقة معينة تضمن الفهم للمستمع في إطار مفهوم الانتظام المفهوميّ.

ثانيّا :المنجز الخطابيّ التعليميّ لابن باديس من التعليم إلى التوجيه التربويّ (قراءة لسانية في ضوء نظرية الأفضية الذهنيّة)

سنوضح في هذا العنصر أهمية المنجز الخطابيّ ونبيّن منزلته في جدولة الأساليب الإصلاحية التي طبّقها رائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلامة (ابن باديس)، حيث اتّخذ من وسيلة التخاطب سبيلا للتعبير عن أفكاره ومعتقداته والوقائع التي عاشها، والتي يعيشها في الحاضر، والحياة التي يطمح إلى أن يحياها مستقبلا هو وأبناء أمته الجزائرية خاصة والعربية الإسلامية عامة، موجِّها بذلك كمًّا من المعلومات والتصورات الفكرية المخزونة في ذهنه وذاكرته إلى مستمعيه توجيها بنّاء و رمزيا يوحي فيه إلى ضرورة التعامل مع الظروف الخارجية الطارئة عليهم والتكيّف معها بأذكى الطرق والأدوات مما يحقق لهم الفوز و التفوق على أضرارها وانعكاساتها المحطمة، والتفاعل معها في إطار ما يضمن له حياة ملائمة في بيئة مناسبة.

شكّل الخطاب بكل أنواعه ومواقفه المتنوعة في التجربة الدّعوية والمشروع النهضويّ لابن باديس المعْلم الرئيس الذي برزت فيه غايات القائد والداعي (الإمام عبد الحميد بن باديس) بمختلف تصوراته التي بنى عليها إسهاماته الميدانية المرتكزة على الشقّ التعليميّ في تضافره مع التوجيه التربويّ لأداء الدّور الإصلاحيّ، وعليه يمكن اعتبار هذه الثلاثية "**من التعليم إلى التربية ثمّ الإصلاح** " هي المفتاح الخطابيّ التعليميّ التوجيهيّ الذي اختاره (ابن باديس) لتوعية عقول الجزائريين الضالّة، وتهذيب نفوسهم المستعصيّة، ووعظ قلوبهم المنكسرة في إطار ما يضمن لهم التعليم والتعلّم، والتربية والانقياد وراء طريق الحق والهداية الربانية لما فيه صلاحهم والفوز بالدارين الدنيا والآخرة .

التوجيه التربويّ في الخطاب التعليميّ الباديسيّ (قراءة لسانية في ضوء نظرية الفضاءات الذهنية)

إنّ الخطاب بوصفه نشاطا لغويا رمزيا تواصليا يعدّ من أبرز الأنشطة التعليمية التي طبقها (ابن باديس) في عمله الجمعوي الإصلاحيّ بعدته الدينية والعلمية، وهو في الحقيقة نشاط ذهنيّ خالص يعكس قدرة الكائن البشريّ المعَرفن على تمثّل تصوراته الذهنية للوقائع في الكون تمثلا باطنيا عن طريق صورة خطاطة شكلت مع ملكاته العَرفنية الممارسة والمجسدنة من إدراك وتخيل وتفكير وتدبّر وذكاء فضاءات ذهنية متعددة تربط بينها وفق انتظام خاص قائم على مبدأ الاهتداء والإحالة إلى عدة مجالات في علاقتها بالمجال الأساس.

هذا النشاط اللغويّ الخطابيّ الذي مارسه (ابن باديس) في عمله الإصلاحيّ على مختلف الأصعدة عمل فيه جاهدا على تمسّكه بالأسلوب الإرشاديّ التوجيهيّ بغرض التربية والتعليم أولا والإصلاح ثانيا، وهو منجز خطابيّ متعدد الأنماط والأغراض يعكس التصور الشامل لصاحبه بتوجهاته المتنوعة بين الفكر والدين والتعليم والحضارة والسياسة والثقافة والاجتماع، وهي القضايا نفسها التي شكلت خلفيته المعرفية ونمت خبرته الإنسانية، وهي القضايا ذاتها التي حوتها قضية الإصلاح التي خطّط لها (ابن باديس) بعد بحث ومشاورة وتدبير مع أقرانه مستندا في ذلك إلى المنهج الإسلاميّ بدعائمه القرآنية والسنيّة سعيا منه لإصلاح ما أفسده المستعمر، وتوعية أبناء شعبه بضرورة التفكير في التغيير إلى الأفضل والاستغلال الأمثل لما سخره له المولى عز وجل من أجهزة ووظائف طبيعية رأسها الدماغ الذي يمثل رأس الأمر في خلق الإنسان، فما علا جسمه إلا لأنه يمثل رمز الارتفاع والعلو والانتفاع عنده بما يلصقه به من وظائف فكرية ومعرفية وعلمية يتدبر بها ويفكر ويصنع إلى أن يصل إلى النضج والابتكار السائر فيه على نور العقل.

إنّ المتأمل في محطات العمل الإصلاحيّ يجد أنّ المكون الخطابيّ بوصفه مظهرا لغويا دلاليّا كان من أبرز الآليات التواصلية التي عبّر بها (ابن باديس) لمستمعيه من أبناء شعبه الجزائريّ وأمته العربية عن هدفه الإصلاحيّ وغايته التعليمية ومنهجه التربويّ، بما يحمله من إحالات متنوعة مست مختلف الأطر الحياتية المستهدف إصلاحها، استمد أفكاره (ابن باديس) ومعلوماته من تجارب الحياة المختلفة التي أكسبته خبرة إنسانية عالية سهلت عليه أداء رسالته البشرية الإسلامية عامة والقومية الوطنية خاصة.

إنّ ميدان الفضاءات الذهنية هي الخطابات المقولية الآنية الفورية التي تعكس القدرات العَرفنية البشرية، والطاقات الذهنية، والتفاعلات الذكية، والتكيّفات البيئية المناسبة التي أودعها الله في الكائنات البشرية لحظة أداء المتكلّم للنشاط اللغوي الخطابيّ، ومنه سنحاول قراءة خطبة (لابن باديس) قراءة لسانية من منظور نظرية الفضاءات الذهنية فيما يلي:

المدونة الخطابية هي عبارة عن **خطبة** لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين **(عبد الحميد بن باديس) ارتجلها وألقاها** في صباح اليوم الأول من أيام اجتماع الجمعية العام الذي عقد بمركزها نادي الترقي بالعاصمة سنة 1353هـ/1934م، جاء نصها كالآتي: [14]

(((الحمد لله العليم الحكيم، رب البرية، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد الذي جاء بالتعلّم والتعليم، لتكميل البشرية، وعلى آله وصحبه ذوي العقل الصحيح والخلق الكريم، والنفوس الأبية، وعلى التابعين لهم في هديهم الصالح وطريقهم المستقيم وسيرتهم الرضية.

أما بعد، فباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تمثل الجزائر المسلمة العالمة والمتعلمة، أرحب بكم أيها الأخوان وأحيي وفودكم الكريمة، وأشكر لكم ما تحملتم من تعب وأنفقتم من مال حتى حضرتم هذا الاجتماع الذي ملأ العيون مهابة وجلالا، والقلوب محبة وسرورا، وأعطى من الجزائر صورة صادقة في جمعكم الحافل الكريم.

وأشكر معكم في ذلك الترحيب وذلك الشكر وتلك التحية الأخوان الكثيرين الذين تخلفوا واعتذروا بالبرقيات والكتب التي تلاها عليكم الأخ الكاتب العام آنفا.

ولا أفِي بالشكر والتحية تلك النفوس الطاهرة، التي تحب الجمعية وتتعلق بالجمعية من العامة الأمية الكثيرة، التي شاهدت وشاهد غيري من رجال الجمعية جموعها الحاشدة في جميع القرى والمداشر عندما نرد عليها ونقف فيها للوعظ والإرشاد ولولا الفقر والأمية قعدا بها لكانت حضرت أو كاتبت أو اعتذرت.

أيها الأخوان، ها هي السنة الثالثة للجمعية قد مضت فماذا عملت الجمعية فيها أين بلغ أثرها، وماذا لقيت فيها الجمعية من الله تعالى ومن الناس.

نشرت الجمعية صحيفة السنة، فصحيفة الشريعة، فصحيفة الصراط فلقيت كلها من الأمة الإقبال والرواج ما لم تلقه صحيفة قبلها، وما أحبها المؤمنون حتى أحبها الله، ولا يوضع الحب في الأرض حتى يوضع في السماء، ولكنها لقيت من ناحية إدارية خاصة البغض والتنكر والاضطهاد فسقطت الصحيفة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة،

[14] آثار ابن باديس: عمار الطالبي، ص538 وما بعدها. ملاحظة: اختبار الخطبة جاء مراعاة للهدف من المداخلة ومراعاة للخطاب التعليميّ.

وقرن تعطيل الثالثة بمنع الجمعية من اصدار أية صحيفة منعا سيبقى لطخة سوداء في جبين حرية القول والتفكير في تاريخ الصحافة في القرن العشرين الذي يسمونه عصر الحرية والنور. (...)

أمّا الاعتناء بالتعليم فهذا هو الذي انقطعت إليه الجمعية وقامت به قيامها ففي قسنطينة وفي ميلة وفي الميلية وفي جيجل وفي بجاية وفي بسكرة وفي بلدة الجزائر وفي بني ورتلاب وبني يعلى وفي تلمسان وفي غيرها في كثير من البلدان تجد رجال مجلس إدارة الجمعية وغيرهم من ذوي العالمية يقضون ليلهم ونهارهم في الدروس العلمية الفقهية والدروس العلمية الإرشادية وتلقين مبادئ الدين واللغة لمن استطاعوا إليه سبيلا من النشء الصغير ولو أن التعليم كان حرا ولو أن الرّخص كانت تعطى لمن يطلبها لكان التعليم اليوم قد عمّ القطر كلّه.

فأثر الجمعية العلمي والإرشادي قد بلغ من الأمة هذه السنة بحمد الله–رغم العراقيل–فوق ما كانت الجمعية تظن وتتوقع فكان إقبال الطلبة على مناهل العلم كثيرا وكان اهتداء الأمة عظيما. (...)

وهي في يومها الحاضر كما كانت في ماضيها وكما تكون إن شاء الله في مستقبلها سائرة في خطتها الإصلاحية الدينية العلمية المحضة تنشر العلم والفضيلة وتحارب الجهل والرذيلة عن نور القرآن العظيم والسنة النبوية وهي السلف الصالح من الأمة، تخدم بذلك الإسلام والمسلمين وجميع المساكين بالجزائر، وتؤدي بذلك واجبها نحو الإنسانية جمعاء.

والله نسأل دوام التوفيق في القصد والعمل والوصول إلى الخير العميم، على الصراط المستقيم.)))

في البداية يجدر التذكير بأنّ القراءة اللسانية التحليلية التي سنقدمها لهذه المدونة الخطابية في ضوء نظرية الفضاءات الذهنية قائمة على المبدأ العام العرفنيّ الذي صاغه (فوكونياي) وهو أن كل مفهوم يمثَّل عبر فضائين ذهنيين، الأول **قادحا** والثاني **هدفا اهتداء**، وقائمة أيضا على **مفهوم التحليل الإطاري والإطار** وما يرافقه من **مفهوم الدور والقيمة**، وهي المبادئ اللسانية الوظيفية التي أقرها (جيل فوكونياي) في نظريته، إضافة إلى تبيان **أنواع الربط** القائمة بين القادح والهدف من مثل: القياس، الاستعارة، المجاز المرسل، الدّالة التداولية، ربط الدّور بالقيمة.... وغيرها.

بناء على ما جاء في **الفقرة الأولى** من المدونة التطبيقية يمكن اعتبار **العبارات المتحققة في الخطاب** من مثل: (الحمد لله، رب البرية، جاء بالتّعلم والتّعليم، لتكميل البشرية، ذوي العقل الصحيح والخلق الكريم، النفوس الأبية....) **نقطة انطلاق الخطاب** بوصفها آلية لغوية استعان بها المخاطِب/المنتج للنشاط اللغوي الخطابي (عبد الحميد بن باديس) لِلَفْتِ انتباه المستمعين (من شخصيات مختلفة رجال الجمعية، والسياسية، والطلاب...)، وهذه الآلية مثلت مظهرا من مظاهر

الانتظام المفهوميّ المفيدة في انبناء المعنى في الخطاب وفق حركية منظمة ومبوّبة، يمكن تفسيرها في موضعها الذهنيّ بتأسيس الدّماغ لبنية ذهنية–لحظة إنتاج العبارة اللغوية–وفق خطاطة صورة على مستوى التصوير الذهنيّ عُبّر عنها **بالفضاء الذهنيّ الأساس أو الواقعيّ** وهو **القادح** المتمثل في الاجتماع العام بوصفه إطارا كاملا يحوي واقعة أو تجربة وقعت في العالم الخارجيّ بكلّ تجلياتها الموجودة في الواقع، من شخص وخصائص (ابن باديس) **بدوره** فهو مترأس الاجتماع، و**قيمته** المجسّدة في كونه رئيس الجمعية و ممثل لآراء أعضائها كل بقيمته، ضف إلى ذلك **الإطار المكاني** (بنادي الترقي بالعاصمة) بوصفه مركزا للجمعية، إلى جانب **الإطار الزماني** (صباح اليوم الأول من أيام الاجتماع العام للجمعية) كل هذه المظاهر المقامية في ترابطها العَرفنيّ بالمظاهر المعنوية ساهمت في تأسيس فضاء **أساس أو أب أو واقعيّ هو القادح،** في علاقته الإحالية اهتداء إلى فضاء ذهني ثان هو **الهدف** أراد من خلاله (ابن باديس) (التذكير بمنهج الجمعية الإسلاميّ بدعامتيه كتاب الله وسنة رسوله الكريم (القرآن والسنة). **الربط هنا بين القادح والهدف** حدث بواسطة **القياس،** فقد اختار (عبد الحميد بن باديس) انطلاقة الخطاب من الحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى، والصلاة والسلام على نبيه الكريم **قياسا** على ما كان السّلف الصالح يبتدئون به خطبهم وكذلك الصّحابة والتّابعين.

باستعمال الخطيب للوحدة النحوية (**أما بعد**) **نشأ ترابط** بين **الفضاء الواقعيّ** وفضاء جديد هو **فضاء بؤرة أو ابن،** ربط فيه المتكلّم (ابن باديس) بين **مجال عرفنيّ أوّل** هو:(انعقاد اجتماع عام أوّل للجمعية بعد ثلاث سنوات من التأسيس) وهو **القادح،** وبين **مجال عرفنيّ آخر** هو:(الانطباع الجميل والقويّ الذي رسمه هذا الاجتماع العام للجمعية عن صورة الجزائر الصادقة والمسلمة والعالمة والمتعلمة بالحضور الحافل والمهيب للوفود)، وهو **الهدف** المتحقق في عبارات الخطاب من **الفقرة الثانية،** وهو يمثل **المعلومة الجديدة** التي أراد أن يضيفها الخطيب لمستمعيه، أما بالنسبة عن **نوع الربط** الحاصل **بين القادح والهدف** فقد وظف (ابن باديس) **الاستعارة** للتعبير عن المعنى الحقيقي للاجتماع بالمعنى المجازيّ الصورة الصادقة للجزائر على سبيل المشابهة بحذف المشبه(الاجتماع بجمعه الحافل).

ومن الفضاء السابق نشأ **فضاء جديد ثالث** هو: (الترحيب بالحضور البرقيّ والكتابيّ) المعبّر عنه بالوحدات والمركبات النحوية (البرقيات والكتب، تلاها، الكاتب العام) **وهو القادح،** وهي العناصر المحددة لإطاره الكامل محيلا المتكلم أو المستمع أو القارئ إلى **مجال آخر –الهدف–**هو: (تعدد أنماط الوفود الحاضرة للاجتماع مما يؤكد اتساع الدائرة التي تعمل في إطارها الجمعية)، وقد أدى الترابط بين **الفضائين الذهنيين** الثاني والثالث إلى الربط بين **مجالين اثنين بواسطة الاهتداء** من معنى الترحيب إلى معنى التِعداد والاتساع المتعلّق بوفود اجتماع الجمعية، وعن **نوع الربط** الحاصل **بين القادح والهدف**

فتمثله **الدالة التداولية**، لأنه من المتداول أن الغائب لظروف معينة يعبر عن حضوره الغيابيّ بوسيلة كتابية كالبرقية أو الرسالة تمثله بين الحضور.

لتتحد في **الفقرة الرابعة** عناصر (النفوس الطاهرة، العامة الأمية، الجموع الحاشدة) وتنشئ **فضاء ذهنيا جديدا رابعا** هو:(اتساع هذا الاجتماع وشموله حتى للغائبين من الوفود بشخصها، الحاضرة بعقولها وقلوبها) **وهو القادح**، بتحديد **موقع مكاني** أشير إليه بالاسم الظاهر (القرى والمداشر)، وهو فضاء عبّر عن مزج ذهنيّ دمج فيه المتكلم مختلف العناصر المعنوية لمحبّي الجمعية والمتعلقين بها من العامة وفق خطاطة صورة ارتسمت حدودها بمدركات عقلية قوامها التصوير الذهنّي الغيبي أو الباطني لحضور هذه الفئة الذهنيّ للاجتماع، اهتدى فيه المتكلم ضمن علاقة **القادح والهدف** إلى مجال آخر هو:(حجم تأثير الجمعية في شعبه وقيمتها لديهم وتأثرهم بها المخطط له والمستهدف من وراء هذه الحركة الإصلاحية لتشمل بذلك مختلف فئات المجتمع.) **وهو الهدف**، وعن **نوع الربط** الحاصل **بين القادح والهدف** فقد ربط فيه المتكلّم **دور** الوفود الغائبة من عامة الأمة الأمية الكثيرة في تحديد **قيمة** الجمعية وأهميتها في وعظهم وإرشادهم لطريق الحق والصلاح الذي لم يلمسوه إلاّ في رجال الجمعية مما كانوا في حاجته الماسة في مثل هذه الظروف الحرجة المُعاشة تحت ظلّ الاستعمار الظالم المنتهك لحقوقهم الإنسانية.

أما الصبغة التوجيهية التربوية لخطاب ابن باديس التعليميّ فقد اشتملتها الفضاءات الذهنية السابقة الذكر (الأول والثاني والرابع) بعناصر ظاهرة عبّر عنها الخطيب بصريح اللفظ والمعنى هي: (التعلّم والتعليم، العقل الصحيح والخلق الكريم، العالمة والمتعلمة، الوعظ والإرشاد)، ضف إلى ذلك المعاني الضمنية لأسلوبه التعليميّ التوجيهيّ والإرشاديّ المهتدى إليها بإحالات معنوية حوتها مختلف عباراته اللغوية التي أنتجها في خطابه.

استعان المتكلم/الخطيب بعبارة (**أيها الأخوان**) المنبِّهَ للمستمعين، والمحيلة بنقلهم من مجال عرفنيّ سابق إلى مجال عرفنيّ آخر لإنشاء **فضاء ذهنيّ جديد** هو: (عرض صيرورة الجمعية بعد سيرورة دامت ثلاث سنوات من العمل، والإنجازات التي حققتها على أرض الواقع)، وهو فضاء واقعيّ أساس **قادح** يعكس المظهر العمليّ والإنجازيّ للجمعية في تجربتها الواقعية استحضره المتكلّم في عالمه الذهنيّ بوصفه تجربة سابقة مضت، ليستعين بها في انبناء المعنى في الخطاب، هذا الفضاء عبر عنه المتكلم بعناصر مستمدة من خلفيته المعرفية من مثل: (نشرت الجمعية، صحيفة السنة، صحيفة الشريعة، صحيفة الصراط، لقيت كلها، الأمة، الاقبال الرواج)، وقد تولّد عن هذا الفضاء **القادح فضاء آخر** اهتدى إليه المتكلم هو:(ربط محبة أمته لصحف الجمعية بمحبة الله)، يمكن أن نسميه **فضاء بؤرة** لأنّ محبة الأرض منطلقها الأصح هي محبة السّماء بوصفها **معلومة جديدة** ومما يجهله المستمعين وهو **الهدف** الذي ارتبط بالقادح عبر رابط **الدّالة**

التداولية لأنّ كل ما هو محبوب عند الله محبوب عند الناس، وهذه الصحف ما هي إلاّ إعلاء لكلمة الله الحقة وتعريف وتطبيق لمنهج سنة رسوله الذي اصطفاه للبشرية جمعاء، حاول من خلالها (ابن باديس) الإشارة إلى أن إنجازات الجمعية وأعمالها مستمدة من الشريعة الربانية والهداية النبوية تبريرا لما لاقته الجمعية عامة وصحفها خاصة من قبول في الأرض بين أبناء الأمة العربية والإسلامية قاطبة.

وانطلاقا من نقلة الاستدراك التي عبر عنها المتكلم بالأداة النحوية (**ولكنها**) نشأ **فضاء ذهني أساس** يمثل **قادحا** لفضاء هدف آخر يهتدى إليه هو: (الحال التي آلت إليها صحف الجمعية من سقوط وتعطيل ومنع اصدار الجديد نتيجة البغض والتنكر والاضطهاد)، هذا الفضاء بتجربة الواقعية ارتبط بفضاء هدف مثّل معلومة جديدة أضيفت في الخطاب بعناصرها الظاهرة (لطخة سوداء، جبين حرية القول والتفكير، تاريخ الصحافة، القرن العشرين، عصر الحرية والنور) بعدّها إطارا كاملا **لفضاء بؤرة أو هدف** هو: (أنّ فكرة الحرية في القول والتعبير المرتبطة بحرية الصحافة ما هي إلاّ شعار كاذب وُسم به عصر الحرية والنور القرن العشرين بدليل تعطيل صحف الجمعية المبرِّر للعار الذي لحق بهذه الفكرة بنتائجها الخائبة من منظور رأي ابن باديس)، هذا **الهدف ارتبط بالقادح** وفق **العلاقة الرابطة بين العالم المتصور ونظيره في الواقع**، حيث يفترض (ابن باديس) وغيره من المستمعين أن مساعي الجمعية المخطط لها سابقا تختلف عما هو محقق في الواقع، هذا الواقع فرض عليهم بالقوة وغيّر مسارهم في عملهم الإصلاحي الجمعويّ، مستشهدا بالحالة التي آلت إليها صحف الجمعية (الشريعة، السنة، الصراط) المناقضة لفكرة الحرية والتعبير عن الرأي في عصر الحرية والنور المتصورة في العالم الذهنيّ للمتكلم/المستمع/القارئ، وما هي عليه في نظيرها الواقعيّ المعاكس للعالم المتصور المعبر عنه بالرفض والمنع والتعطيل.

بمواصلة الخطيب (ابن باديس) الحديث-في **الفقرة السادسة** من الخطبة-عن أعمال الجمعية المرتبطة بتجربة كونية بمظاهرها المعنوية والمقامية السياقية حدث انتقال ذهنيّ من فضاء أساس سابق الذكر (أعمال الجمعية) إلى **فضاء ابن جديد** بعناصره الظاهرة الممثّلة لإطاره الكامل (الاعتناء بالتعليم، انقطعت إليه، قامت به قيامها، كثير من البلدان، يقضون ليلهم ونهارهم)، هو: (الإشادة بالعمل الجبّار والعناية الفائقة للجمعية بمسألة التعليم) وهو **القادح** المحيل إلى **الهدف** الذي اهتدى إليه (ابن باديس) وغيره من المستمعين وهو:(أنّ هدف الجمعية هو استفاقة الأمة من سباتها الذي لا يكون إلاّ **بالعلم والتعليم** الذي يبث فيها حب **النصح والإرشاد ويوجهها** إلى سبل الخير والنور، ويرسم لها دروب التفقّه في دينها ولغتها)، مستعينا في **الربط** بينهما (**القادح/الهدف**) على أداة **القياس** الموزعة على شقيها: **قياسا** على

طريق الذين سبقوه في حركة الإصلاح من العلماء باعتمادهم على الأسلوب العلمي التعليميّ، وهو الأسلوب نفسه الذي ربّاه وأنشأه عليه والده، و**قياسا** على أسلوب الجهل والأمية الذي طبقه المستعمر على أمته.

بتوظيف المتكلم للأداة النحوية (**ولو**) حصل بناء **لفضاء ذهني جديد/ فضاء ابن** هو: (أنّ الجمعية لم تبلغ غايتها من التعليم بعدُ بأن يشمل القطر كله، بسبب غياب حرية ممارسة التعليم الذي فرضه المستعمر والتوزيع غير العادل لرخص التعليم)، وهو **قادح** أحال بواسطة الاهتداء إلى **الهدف** الحامل لرسالة ضمنية تتعلق بمجال آخر هو مجال (الدعوة والنصح والإرشاد و**التوجيه التربويّ** الوارد في هذا الحديث للخطيب (ابن باديس) بالحرص على تربية النشء على تعاليم الدين وتعليمه لغة القرآن ومبادئ السنة النبوية)، معتمدا في ذلك على ربط الدور بالقيمة، فللعلم والتعليم **دور** في تربية النشء تربية سليمة وصحيحة، ولهذه التربية **قيمة** في تكوين الأجيال الصالحة المجاهدة بالقلم في سبيل الدفاع عن مقومات الهوية اللغة والدين والتاريخ، وتحرير الأمة والوطن.

أما في **الفقرة السابعة** فقد ساهم حرف العطف "الفاء" في بناء **فضاء ذهنيّ جديد قادح** (بيّن فيه ابن باديس نتائج الجمعية على المستوى العلمي والإرشادي الذي بلغته في السنة الثالثة) اهتدى من خلاله المتكلّم إلى **فضاء جديد هدف** هو(انبهار الجمعية بالنتائج المحققة المنعكسة في وعي الأمة والانتشار الواسع للعلم بين أبنائها رغم ما طالها من ظلم واضطهاد)، ربط بينهما وفق **أداة ربط الدور بالقيمة**، فقد كان للباعث العلميّ والإرشاديّ دور في تنوير عقول الجزائريين ودفعهم إلى طلب العلم، هذا الدّور له قيمته البارزة في بعث الحياة من جديد في أبناء الجزائر وانتشالهم من دائرة القابلية للاستعمار برؤية جديدة متفائلة قوامها الدّين (الدّين النصيحة) والعلم (بالعلم تزدهر الأمم).

في **الفقرة الثامنة** فضاء ذهني جديد بني **بمحددات زمنية** (يومها الحاضر، ماضيها، مستقبلها) مثّلت الجمعية بتجاربها الواقعية الموزعة على ما هي عليه الآن، وما كانت، وما ستكون) وهو فضاء أساس/ **قادح**، محيلا عبر رابط العلاقات القائمة بين العالم المتصوّر ونظيره في الواقع إلى **فضاء بؤرة هدف** هو: (أن منهج الجمعية في عملها الإصلاحي واحد غير قابل للتغيير عبر الزمن في خطته المستندة إلى الدين والعلم) بوصفه **إضافة جديدة** قصد الخطيب توصيلها للمستمعين، محيلا أي القادح بدوره إلى **فضاء بؤرة ثان** هو: (أن الجمعية لا ترى في منهجها الربانيّ والنبويّ الذي سار عليه السّلف الصالح بديل يعينها على نشر العلم والأخلاق الكريمة ومحاربة الفساد والجهل مما فيه صلاح العباد وخدمة الدين بل ممّا يساعدها على أداء واجبها الإنساني مع الناس جميعا)، وهو **مترابط مع القادح** ربطا على سبيل **الدالة التداولية** لأن المتداول في سنة الحياة في الكون أن يسير الخلف على درب السلف وهدي الكتاب والسنة، الوحي المنزّل لكافة البشرية.

في ختام خطبة الخطيب (ابن باديس) نجد **فضاء ذهنيا بؤرة ثالثا** لنفس الفضاء الأساس نشأ ضمن أسلوب الدعاء بغرض التمني الذي ربطه المتكلم بآماله وتمنيات رجال الجمعية حول استمرار سداد طريقها قصدا وعمل، المؤدي الى الخير الكثير على النهج القويم، أمّا عن نوع الربط بينه وبين القادح فتمّ عبر **الدالة التداولية والقياس**، فمن المعتاد أن تختم بعض الخطب بالدعاء المتضمن للتمني، وقياسا على ما جاء في خطب السلف الصالح بختم خطبهم بتمني مستقبل ناجح لأعمالهم كما يتصوّرونه في أذهانهم وفق خطاطة صورة.

❖ **نتائج المداخلة:**

1. النشاط الخطابيّ هو منجز لغويّ دلاليّ له تمثلان يحدثان في آن واحد فور عملية التلفظ والقول: أحدهما لغويّ يتم عبر العبارة اللغوية بطبيعتها النحوية والدلالية، والآخر ذهنيّ عبر الدماغ بترابطاته الخطاطية الذهنية.
2. الخطاب بوصفه نشاطا لغويا تواصليا له تمثّل ذهنيّ في الدماغ عُبر عنه بالانتظام المفهوميّ في انبناء المعنى.
3. الخطاب بعدّه معلومة منظمة مصدرها القدرة البشرية المعَرفنة التي مرجعها الطاقة الذهنية للكائن المعَرفن الذكيّ.
4. الخطاب بوصفه مدونة تعليمية تعكس الملكات العَرفنية من تعلّم ومعرفة وتفكير وتصور وإدراك...الموجهة لتأسيس مناويل وأبنية عَرفنية متعددة.
5. منهج ابن باديس التوجيهي التربوي في خطابه التعليميّ ليس وليد مشروع جمعوي إصلاحيّ ارتبط ميلاده بسنة معلومة، بل هو نتاج تنشئة علمية وأخلاقية سمحة، وتعليم رفيع، واهتمام وتهذيب فائق لاقه من والده وأسرته وشيوخه وبيئته التي ترعرع فيها.
6. الطابع التوجيهي التربويّ الذي طبع به الخطاب التعليميّ الباديسيّ تؤكده طبيعة الخطابات بإحالاتها الاهتدائية الرابطة بين مختلف توجهات القضية الإصلاحية، ونوع عباراتها وتركيباتها المختصرة والوجيزة، بل والمبررة لغرض ابن باديس التنفيذي الإجرائيّ في الميدان العمليّ لا القولي الشعاريّ.
7. نظرية الفضاءات الذهنية مفهوم شامل لعدة أطر عَرفنية متكاملة من نظرية مزج، ونظرية جسدنة، ونظرية خطاطات، ونظرية تصوير ذهنيّ/ دماغي.
8. عملية تأسيس الفضاءات الذهنية مصدرها الخلفية المعرفية المبنية على الخبرات الإنسانية المختلفة.

9. نظرية المعالجة الدماغية للمعلومات (الأفضية الذهنية) تعزّز مفهوم الاختلاف بين قدرات البشر العَرفنية الممارسة رغم اتحادهم في استعمال الوسيلة اللغوية بأنشطتها الرمزية وغير الرمزية.
10. نظرية الأفضية الذهنية غاية عرفنية يبررها البحث في آلة الدماغ وكيفية اشتغالها وسرّ وجودها الطبيعيّ وخصيصتها الذكائية.
11. خصيصة خطاب ابن باديس التعليمية تبررها حاجة الكائن البشرية المعَرفن للمعرفة والتعلّم لتكون جسرا عابرا لامتلاك قدرات عَرفنية جديدة وتعزيز أخرى مما يفضي بها إلى التصوّر والتفكير في المناسب والملائم لحياة أفضل في بيئة أنسب، وهو المجال البحثيّ الذي سيطر على الساحة العلمية في القرن العشرين.
12. تنوع أنواع الربط بين الفضاءات الذهنية في خطاب ابن باديس إحالة واضحة إلى تنوع الخلفية المعرفية وتعدد مجالات اهتمامه ومعرفته.
13. انبناء منهج (ابن باديس) التوجيهيّ التربويّ على أسلوب النصح والإرشاد باللين والرفق مرده الهداية القرآنية والسنيّة أولا، والامتثال لأسلوب التربية الذي لاقه من شيوخه ثانيا، ورد فعل مواتٍ لمنبه استعماريّ استهدف تحقير الذات والانتقاص من قيمها الإنسانية بتضليلها وإبعادها عن طريق الصواب من ناحية ثالثة.
14. أسلوب التوجيه التربوي للخطاب التعليميّ الباديسيّ يعكسه الطابع الدعويّ لمشروعه الإصلاحيّ.
15. حقل العَرفنة بوصفه فكرة علميّة بحثية منهجية يشمل الاصطلاحات الآتية: (العقل البشريّ، المعرفة، الحكمة، الحقائق، سر الموجودات، رأس الحقائق، الواقع، التجربة، معرفة الغائب.)

❖ قائمة المصادر والمراجع:

1) آثار ابن باديس: عمار الطالبي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت–لبنان، الطبعة الثالثة، 1417هـ/1997م.
2) أسرار المخلوقات: أبو حامد الغزالي، منشورات دار المعارف، سوسة–تونس، (د.ط)، (د.س).
3) أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس: مُحَمَّد بن سمينة، دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الأولى، 2014م.
4) التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس: مركز البحوث والدراسات، مجلة البيان، العدد 189، الرياض، 1435هـ.
5) علم الدلالة و العرفانية: راي جاكندوف، ترجمة: عبد الرزاق بنور، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط)، 2010م.

6) العلوم المعرفية: بحث في النشأة والمفاهيم، ذهبية حمو الحاج، مجلة أبوليوس، المجلد 06، العدد 02، جوان2019م.

7) نظريات لسانية عرَفنية: الأزهر الزناد، الدّار العربية للعلوم ناشرون، (د.ب)، (د.ط)، 2009م.